مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

دراسة بيانية في الخصائص الفنية والقيم الجمالية للبيان النبوي

A rhetorical study of the artistic characteristics and the aesthetic values of the Prophet's statements

د. علي زواري أحمد
soufislam@gmail.com
جامعة الشهيد حمّة لخضر – الوادي

تاريخ الإرسال: 26_07_2019 تاريخ القبول: 03_08_2020

الملخص:

بحثنا هذا يتعلق بالبيان النبوي المتمثل في بلاغته عليه الصلاة والسلام، منطلقين بداية ببيان جوامع الكلم التي بُعث بها عليه الصلاة والسلام، والتي تشكل الأساس لما جاء به من بيان عال، ثم خصصنا جزءا من البحث للحديث عن أهم الخصائص التي تميز بها البياني النبوي، وذلك من خلال جملة مختارة من الأحاديث النبوية الشريفة، ثم بعدها تطرقنا للقيم الجمالية التي تحلى بها بيانه عليه الصلاة والسلام، مستوحين ذلك من خلال الصور الفنية المتمثلة في التشبيه والاستعارة، ومن خلال الإعجاز البياني للخطاب النبوي المتمثل في الإعجاز اللفظي والإعجاز المعنوي.

الكلمات المفتاحية: البيان النبوي، جوامع الكلم، الخصائص، القيم الجمالية.

ABSTRACT:

This researchpaperwasrelated to the Prophet'sstatement in his message, (peacebeuponhim), beginning withaccurate wordsgiven by the Prophet Muhammad (PBUH), whichwas the basis for the highstatement of the prophet, Thenwedealtwith

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

the most important artisticcharacteristics Through a selection of the noble Prophet's Hadiths, alsowetouched on the aesthetic values of hisstatement whichhad been inspired by theartistic images of metaphor, in addition to the miraculousgraphic of the Prophet's speech inbothverbal and non-verbal sides.

Keywords: Prophetic statement, speech mosques, properties, aesthetic values.

1 – المقدمـــة:

تعتبر الأحاديث النبوية مادة غنية للعديد من الدراسات اللغوية؛ ومنها الدراسة البلاغية البيانية، فقد حوت صنوفا متنوعة من المباحث البلاغية، واستوعبت ألوانا مختلفة من الفنون البيانية، واشتملت على جملة من القيم الجمالية، كانت كلها من أبرز مظاهر بلاغته وقوة بيانه صلى الله عليه وسلم، ومن أجل دلائل نبوته–عليه الصلاة والسلام–، ولهذا انبرى العلماء والبلغاء والأدباء في وصف فصاحته، وبيان بلاغته، وما امتازت به أساليبه من أفانين القول، كل هذا جعلني أخص موضوع بحثي لبيان الخصائص التي تميز بها البيان النبوي، وإبراز قيمته الجمالية من خلال الأحاديث الشريفة، قصد استجلاء بعدها الجمالي الذي كان له أكبر التأثير في المتلقين، وعليه كان عنوان البحث موسوما بـــ: "دراسة بيانية في الخصائص الفنية والقيم الجمالية للبيان النبوي".

وعليه فإن إشكالية هذا البحث تتمحور في البحث عن تلكم الخصائص الفنية التي ميزت البيان النبوي عن غيره، ومدى ما تحدثه من جمال فني له أثره القوي على السامعين، وهذا الإشكال يجعلنا نطرح بعض التساؤلات الفرعية المتعلقة بحل هذه الإشكالية:

ما المراد بجوامع الكلم التي بُعث بها النبي صلى الله عليه وسلم؟.

وما هي أهم خصائص البيان النبوي؟.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

وما هي أهم القيم الجمالية التي جسدها البيان النبوي من خلال الأحاديث الشريفة؟

ولا يفوتني أن أنبه على أهم الدوافع التي جعلتني أبحث في هذا الموضوع، والتي منها:

أولا – أن الموضوع متعلق بالتخصص بالدرجة الأولى، وقد كانت دراساتي السابقة في مدونة القرآن الكريم، وكان يراودني التفكير دوما أن أخصص جزءا من أبحاثي للمصدر الثاني من التشريع؛ ألا وهو السنة النبوية المشرفة، لذلك كان التوجه بالدراسة للحديث النبوي قصد إحداث بعض التوازن في الدراسة المتعلقة بمصدر الوحي الكريم؛ القرآن العظيم والسنة المشرفة.

ثانيا – أنه لما أسند إليّ تدريس مقياس الدراسات البيانية في الحديث النبوي المتعلق بالسنة الثانية ماستر علوم الحديث بمعهد العلوم الإسلامية، وجدت الفرصة سانحة للبحث في هذا الجانب، فرغبني ذلك لخوض غمار البحث في هذا الموضوع، وقد أثمرت تلك الجهود بمادة علمية قدمت للطلبة وفق البرنامج المقرر، وتوجت بالمقابل بهذا البحث المتواضع، لعله يكون بداية لدراسات أخرى أوسع وأشمل.

ولذا فإن هذه الدراسة تمحورت في ثلاثة مطالب تتخللها جملة من العناصر التي اقتضاها البحث، وهذه المطالب، هي:

المطلب الأول – معنى جوامع الكلم في البيان النبوي.

المطلب الثاني – الخصائص الفنية للبيان النبوي.

المطلب الثالث– القيمة الجمالية للبيان النبوي من خلال بعض المباحث البلاغية.

ثم في الأخير ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج المتوصل إليها من خلال البحث.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

2 – المطلب الأول – معنى جوامع الكلم في البيان النبوي

الخطاب النبوي أشار بنفسه لموضوع البيان الذي كان مفخرة العرب وسرّ اعتزازهم بذاتهم، فقال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا»[1]. ولا ريب أنه – عليه الصلاة والسلام– امتلك من هذا السحر ما فاق به العرب، فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول : «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ»[2].

فهذا الخطاب النبوي يشير إلى قضية البيان النبوي، ويبين أنّه صلى الله عليه وسلم قد آتاه الله تعالى البيان الذي أرسله به للناس كافة، ويتمثل ذلك في جوامع الكلم، وحتى يتضح مضمون هذا الخطاب النبوي، نقف معه في النقاط التالية:

2 – 1– معنى لفظ جَوَامِع: جَوَامِع: مادة (ج م ع) وهي جمع، مفرده: جَامِع، جاء في مقاييس اللغة لابن فارس: «الجيم والميم والعين أصل واحد، يدل على تَضَامٍّ الشيء. يقال جمعت الشيء جمعا»[3].

وكثيرا ما نقرأ ونسمع، هذا باب جامع، وهذا تعريف جامع، أي شامل لما فيه، ويقال أيضا: كلام جامع، أي ما قلت ألفاظه وكثرت معانيه، فهذا هو مضمونها من

[1]– مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: 179هـ): الموطأ برواية أبي مصعب الزهري، المحقق: بشار عواد معروف – محمود خليل، مؤسسة الرسالة، سنة: 1412 هـ، ج2، ص: 164.

[2]– البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي: صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، سنة، 1422هـ: ج، ص: 54.، وفي رواية لمسلم: «أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ»، وعنده في رواية ثالثة: «وَأُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ».

[3]– أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، سنة: 1399هـ – 1979م، ج1، ص: 479.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

الجانب البياني، ففي معجم اللغة العربية المعاصرة: «كلمة جامعة: كثيرة المعاني على إيجازها "ألقى الخطيبُ خطبة جامعة»[1].

وفي الحديث الشريف: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْجِبُهُ الْجَوَامِعُ مِنَ الدُّعَاءِ»[2]. أي التي تجمع الأغراض الصالحة والمقاصد الصحيحة، أو تجمع الثناء على الله تعالى وآداب المسألة.

2 – 2– معنى لفظ الكَلِم :

الكَلِم: هذا اللفظ كما ورد في الخطاب النبوي ورد كذلك في الخطاب القرآني، وله علاقة ببعض معاني الكَلِم الواردة في البيان النبوي، ومن تلك المواضع في الخطاب القرآني، قوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾[3]. وقوله تعالى:﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾[4]، وفي المائدة أيضا:﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾[5]، وفي سورة فاطر :﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾[6].

[1]– أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1429 هـ – 2008 م، ج1، ص:395.

[2]– محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ): صحيح ابن حبان – مخرجا، المحقق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، 1414 – 1993، ج3، ص: 149.

[3]– النساء: 46

[4]– المائدة: 13

[5]– المائدة: 41

[6]– فاطر: 10

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

فما المراد من هذا اللفظ؟.

ذهب ابن فارس إلى أنه الكلام المنطوق شريطة أن يكون مفهوما، فيقول: «(كَلَمَ) الكاف واللام والميم أصلان: أحدهما يدل على نُطْقٍ مُفْهِمٍ، والآخر على جراح»[1].

ويرى الجوهري أنه ما لم يَقِل على ثلاث كلمات: «[كلم] الكَلامُ: اسم جنسٍ يقع على القليل والكثير. والكَلِمُ لا يكون أقلّ من ثلاث كلمات، لأنَّه جمع كَلِمَةٍ، مثل نَبِقَةٍ ونَبِقٍ. ولهذا قال سيبويه: " هَذَا بَابُ عِلْمِ مَا الكَلِمُ من العَرَبِيَّةِ " و لم يقل: ما الكلامُ، لأنَّه أراد نفس ثلاثة أشياء: الاسم والفعل والحرف، فجاء بما لا يكون إلا جمعاً»[2].

يقول القاضي الأحمد نكري: «وَإِنَّمَا سمي جمعا نظرا إِلَى مَعْنَاهُ الجنسي؛ فَهُوَ باعْتِبَار لَفظه مُفْرد، وَباعْتِبَار مَعْنَاهُ الجنسي جمع»[3].

فمن خلال ما ذكرت يتبين أن الكَلِم ما كان ثلاث كلمات فأكثر، ويكون مفهوما بحيث يؤدي المعنى.

2 – 3 – معنى جَوَامِع الكَلِم:

[1]– ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج5، ص: 131.

[2]– الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (المتوفى: 393هـ): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ – 1987 م، ج5، ص: 2023.

[3]– القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق 12هـ): جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، 1421هـ – 2000م، ج3، ص: 91.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

وأما عندما نرجع للمراد من جوامع الكلم كمركب إضافي من خلال سياق النص النبوي، فإن وجهات العلماء اختلفت في ذلك، فمنهم من بيّن معنى ذلك من خلال الجانب اللغوي والبلاغي، يقول الجرجاني في التعريفات: «ما يكون لفظه قليلاً ومعناه جزيلاً، كقوله صلى الله عليه وسلم: "حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات". وقوله صلى الله عليه وسلم: "خير الأمور أوسطها"»[1].

بمعنى أن كلامه عليه الصلاة والسلام قليل الألفاظ، كثير المعاني، وهو نفسه ما عرّفه به شرّاح الحديث، يقول العيني في عمدة القاري: «الإضافة في: جوامع الكلم، من إضافة الصفة إلى الموصوف، هي: الكلمة الموجزة لفظا المتسعة معنى، يعني: يكون اللفظ قليلا والمعنى كثيرا»[2].

ونقل كلام الخطابي، حيث قال: «قَالَ الْخطابِيّ: مَعْنَاهُ إيجاز الْكَلَام فِي إشباع الْمعَانِي»[3].

ومنهم من نظر إليه من جانب الرسالة المتعلق بالكتب التي قبله صلى الله عليه وسلم، فقال إنه القرآن، أي أن المراد بجوامع الكلم في هذا الحديث تعني: القرآن الكريم الذي جامع لما احتواه من معان بقليل من اللفظ، قال صاحب النهاية في غريب الحديث

[1]– الجرجاني علي بن محمد بن علي الزين الشريف (المتوفى: 816هـ) التعريفات، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ –1983م، ص: 73.

[2]– بدر الدين العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى (المتوفى: 855هـ): عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج14، ص: 235.

[3]– المرجع نفسه والصفحة نفسها.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

والأثر: «"أوتيت جوامع الكلم" يعني القرآن، جمع الله بلطفه في الألفاظ اليسيرة منه معاني كثيرة»[1].

وفي عمدة القاري: «قال ابن التين: جوامع الكلم القرآن، لأنه يقع فيه المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، وكذلك يقع في الأحاديث النبوية الكثير من ذلك»[2].

ومنهم من قال أنه جمع ما تفرق في الكتب السابقة من قضايا مختلفة، قال أبو عبد الله (البخاري): «وبلغني أن جوامع الكلم: أن الله يجمع الأمور الكثيرة، التي كانت تكتب في الكتب قبله، في الأمر الواحد، والأمرين، أو نحو ذلك»[3].

وكل هذه الوجهات تعطي صورة شاملة وعامة تتكامل فيما بينها ولا تختلف، فهو عليه الصلاة والسلام جاء بالمعاني الكثيرة وبألفاظ قليلة وجزلة، ومن جهة أنه جمع القضايا المتعددة المتفرقة في ألفاظ واحدة تحتمل كل تلك المعاني، –كما سنرى ذلك لاحقا– وأيضا أنه عليه الصلاة والسلام أُوتِي القرآن ومثله معه من السنة المشرفة، وكلا المصدرين للوحي الكريم جمعا جوامع الكلم، وملكا زمام البيان مما أعجز العرب على أن يأتوا بمثلهما، وإن لم يكن الحديث النبوي مجالا للتحدي، لكن العرب لا تشق له غبارا ولا تستطيع له مبارزة، ولو كان بأيديهم ذلك لما تأخروا عن الطعن فيه.

3 – المطلب الثاني – خصائص البيان النبوي

[1]– ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ): النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، 1399هـ – 1979م، ج1، ص: 295.

[2]– المرجع السابق والصفحة نفسها.

[3]– البخاري: صحيح البخاري، ج9، ص:37.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

ما بينته في المطلب السابق يؤكد لنا أن البيان من صميم رسالته – صلى الله عليه وسلم – وقد أشار إليه، بقوله: «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ»، واختياري لهذا البيان ليكون محلا لهذه الدراسة هو نابع من هذا التوجيه النبوي، وعليه فإني في هذا المطلب أحاول جاهدا أن أجلي أهم الخصائص الفنية التي تميز بها بيانه عليه الصلاة والسلام، والتي منها:

3 – 1 – الإيجاز:

الإيجاز أبرز سمة تميز بها البيان النبوي؛ وهو أن يجمع الكلام المعاني الكثيرة تحت الألفاظ القليلة مع الإبانة والإفصاح، كما وضحه أهل البلاغة، يقول ابن سنان الخفاجي في كتابه سر الفصاحة: «هو إيضاح المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ»[1].

جاء في كتاب البلاغة العربية للميداني: «الإيجاز في اصطلاح البلاغيين: هو التعبير عن المراد بكلام قصير ناقص عن الألفاظ التي يؤدى بها عادة في متعارف الناس، مع وفائه بالدلالة على المقصود»[2].

وعند الرجوع لأحاديثه صلى الله عليه وسلم والنظر في هذه المعاني التي تبيّن مفهوم الإيجاز ندرك أن كلامه عليه الصلاة والسلام سلم من الإطناب المؤدي بالسامع إلى السآمة والملل، وسلم – كذلك – من الوقوع في الخطأ عند استعمال اللفظ، وتتره عن العيب المخل في توظيف المعنى، وهذا كله مخالف لسائر كلام البلغاء؛ فإنك إذا نظرت في تصاريف كلامهم فلن تجد فيهم من سلم من اللجوء إلى فنون من الإطناب يستعين بها على توضيح المعنى المراد.

[1]– الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (المتوفى: 466هـ): سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، الطبعة: الطبعة الأولى 1402هـ_1982م، ص: 211.

[2]– عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: 1425هـ): البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1416 هـ – 1996 م، 2، ص: 26.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

وحتى يكون الكلام علميا وأثبت ما قررته في هذه الكلمات، فإني أضرب أمثلة على ذلك من الأحاديث القصار الموجزة، وما أكثرها، ونكتفي بذكر ما يلي:

قوله صلى الله عليه وسلم: «الحَرْبُ خَدْعَةٌ»[1]، وقوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى»[2]، وقوله صلى الله عليه وسلم: «النَّاسُ مَعَادِنُ»[3]، وقوله صلى الله عليه وسلم: «الْجَالِبُ مَرْزُوقٌ وَالْمُحْتَكِرُ مَلْعُونٌ»[4].

فهذه الأحاديث كما نرى قليلة اللفظ ولكنها غزيرة المعنى، وإذا أردنا بيان ذلك نقف مع الأخير منها، وهو قوله: «الْجَالِبُ مَرْزُوقٌ وَالْمُحْتَكِرُ مَلْعُونٌ» فعندما نحلله نجده قليل اللفظ يتكون من أربع كلمات، ومعناه واضح جلي لا غموض فيه، فقد استوفى معناه، أي أن (الجالب) إلى سوق المسلمين لأرزاقهم ومنافعهم (مرزوق) لأنه تبارك وتعالى يبارك له في بيعه وشرائه، (والمحتكر) عليهم تربصا للغلا (ملعون) أي مطرود عن رحمة الله تعالى، ومع هذا الوضوح فهو يحمل العديد من المعاني الأخرى، والتي منها:

–التاجر مرحوم لتوسعته على الناس، فيبارك الله في رزقه، والمحتكر ملعون محروم ولا بركة في ماله لتضييقه على الناس.

–فيه بيان صنفين من التجار، أحدهما: يوسع على الناس وييسر، وثانيها يضيق على الناس ويحتكر.

---

[1]– البخاري: صحيح البخاري، ج4، ص: 64.

[2]– المرجع نفسه ج2، ص: 79.

[3]– المرجع نفسه ج4، ص: 149.

[4]– ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ): سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، ج2، ص: 728.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

– فيه مقابلة تحمل معنى خفي؛ حيث قُوبِل المرزوق بالملعون، وفي الأصل المقابل للمرزوق هو المحروم، ولكنه قابله بالملعون ليعم ويشمل الحرمان واللعنة معه فوق ذلك، لأن ضرره متعد إلى الناس الذين استغل حاجتهم إلى الطعام والشراب.

– فيه الحث على التيسير عن الناس واستجاب مساعدتهم وفضل ذلك عند الله، وفيه حرمة التضييق عليهم وإثم ذلك عند الله تعالى.

– وفيه إباحة التجارة الحلال وأن الله يباركها، وحرمة التجارة في الممنوعات وعلى رأسها الاحتكار وأن الله يمقتها.

3 – 2 – الجزالة والرقة

يقول صاحب الكليات: «الجزالة هي إذا أطلقت على اللفظ يراد بها نقيض الرقة، وإذا أطلقت على غيره يراد بها نقيض القلة»[1].

وذكر صاحب اللسان لها عدة معان: «كَلَام جَزْل أَي قَويّ شَدِيدٍ. وَاللَّفْظُ الجَزْل: خِلَافُ الرَّكِيك».

فالمعنى اللغوي للجزالة يدور حول قوة اللفظ وإحكامه وشدته وقوته[2].

ولعل أوفى من تحدث عن الجزالة والرقة ابن الأثير حيث يقول: «الألفاظ تنقسم في الاستعمال إلى جزلة ورقيقة، ولكل منهما موضع يحسن استعماله فيه، فالجزل منها يستعمل في وصف مواقف الحرب، وفى قوارع التهديد، والتخويف، وأشباه ذلك. وأما الرقيق منها فإنه يستعمل في وصف الأشواق، وذكر أيام البعاد، وفى استجلاب المودات،

[1]– أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي: الكليات، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – 1419هـ – 1998م، ص: 545..

[2]– ابن منظور محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ): لسان العرب، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1414 هـ، ج11، ص: 109.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

وملاينات الاستعطاف، وأشباه ذلك. ولست أعنى بالجزل من الألفاظ أن يكون وحشياً متوعراً عليه عُنجهية البداوة، بل أعنى بالجزل أن يكون متيناً على عذوبته في الفم ولذاذته في السمع، وكذلك لست أعنى بالرقيق أن يكون ركيكاً سفسفاً، وإنما هو اللطيف الرقيق الحاشية الناعم الملمس»[1].

وحتى يتبين الأمر نأخذ مثالا للجزالة ومثالا للرقة، فمثال الجزالة، قوله – صلى الله عليه وسلم –: «مَنْ ظَلَمَ مِنَ الأَرْضِ شَيْئًا طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ»[2]، فنلمح القوة والإحكام، والعظمة والشدة في هذا البيان النبوي، وذلك من خلال التصريح بـــلفظ "الظلم"، وذكر لفظ "الطوق"، وذكر لفظ "الأرضين" بصيغة الجمع، وحتى تتضح الجزالة نذكر المعاني الآتية للفظ الطوق:

– فالفعل "طوقه" معناه: أنه يكلف نقل ما ظلم منها في القيامة إلى المحشر ويكون كالطوق في عنقه لا أنه طوق على الحقيقة.

– أنه يعاقب بالخسف إلى سبع أرضين أي فتكون كل أرض في تلك الحالة طوقاً في عنقه.

– ومن معاني التطويق تطويق الإثم، والمراد به أن الظلم المذكور لازم له في عنقه لزوم الإثم.

– ويحتمل أن تتنوع هذه الصفات لصاحب الجناية أو ينقسم أصحاب الجناية فيعذب بعضهم بهذا وبعضهم بهذا بحسب قوة المفسدة وضعفها.

[1]– ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفى: 637هـــ): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي، المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ج1، ص: 185.

[2]– البخاري: صحيح البخاري ج3، ص: 130.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

وهناك معاني أخرى مثل حرمة الظلم وبشاعته وسوء عاقبته وغير ذلك، ولكن في كل ما ذكرناه من تلك المعاني للفظ الطوق تجد فيها الإحساس بالقوة والشدة ولا يتبادر لفهمك أي نوع من الرقة واللين.

ومن الرقة نذكر مثالا كذلك، وما أكثر الأحاديث المشتملة على الرقة في البيان النبوي. فمن ذلك قوله – صلى الله عليه وسلم –: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»[1].

فالحديث –كما نرى– تتدفق ألفاظه في رقة حانية فيها من التناغم والتوافق ما يناسب الحديث عن الرحمة والمغفرة وقبول التائبين، وقد شاركت الاستعارة في الحديث في إبراز هذه الرقة، فبسط اليد عبارة عن التوسع في الجود والمنع عند اقتضاء الحكمة، ومنه الباسط، وورد هنا لفظ "بسط اليد" لأن العرب إذا رضي أحدهم الشيء بسط يده لقبوله، وإذا كرهه قبضها عنه فخوطبوا بأمر حسي يفهمونه.

فهكذا كلامه صلى الله عليه وسلم لا هو خالص مثل جفاء البداوة وغلظتها، ولا هو مثل ضعف الحضارة وركاكتها، فقد كان صفوة ما في الأمرين، فاستمد من البداوة جزالتها وفصاحتها، واستقى من الحضارة رقتها وعذوبتها؛ لذا جاء كلامه جزلا في رقة متينا في عذوبة قويا في لطف.

3 – 3 – عدم التكلف:

كثير من الأدباء ممن عُرِفوا واشتهروا وتغلبت عليهم الصنعة، فكانوا يحرصون على اللفظ أكثر من حرصهم على المعنى، وكانت عنايتهم مصروفة إلى حشد الألفاظ

[1] – مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ): صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج4، ص: 2113.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

المسجعة والعبارات المترادفة، وكان السجع هدفاً في ذاته مما أخرج كثيراً منهم عن حد الاعتدال إلى التكلف المذموم، كما أنهم تكلفوا في بعض فنون البديع الأخرى اللفظية منها والمعنوية كالطباق، والمقابلة، والجناس وغيرها، أما في البيان النبوي فقد جاءت هذه الفنون البديعية فيه على نهج السداد والاعتدال بعيداً عن الصنعة والتكلف المذموم.

ولنأخذ السجع مثلا على عدم التكلف، ونعرفه قبل التمثيل له، حيث يقول الخفاجي: «ويحد السجع بأنه تماثل الحروف في مقاطع الفصول»[1]، أو «هو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد»[2].

يقول ابن سنان الخفاجي: «والمذهب الصحيح أن السجع محمود إذا وقع سهلاً متيسراً بلا كلفة ولا مشقة، وبحيث يظهر أنه لم يقصد في نفسه ولا أحضره إلا صدق معناه دون موافقة لفظه، ولا يكون الكلام الذي قبله إنما يتخيل لأجله، وورد ليصير وصلة إليه فإنا متى حمدنا هذا الجنس من السجع كنا قد وافقنا دليل من كرهه، وعملنا بموجبه لأنه دل على قبح ما يقع من السجع بتعمد وتكلف، ونحن لم نستحسن هذا النوع، ووافقنا أيضاً دليل من اختاره لأنه إنما دل به على حسن ما ورد في كتاب الله تعالى وكلام النبي – صلى الله عليه وسلم –، والفصحاء من العرب»[3].

وسوف أعطي نماذج من البيان النبوي لنرى كيف جاء السجع فيها غير متكلف، من ذلك:

[1]– ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، ص: 171.

[2]– عبد الرحمان حبنكة الميداني: البلاغة العربية، ج2، ص: 503.

[3]– المرجع السابق، نفس الصفحة.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

قوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ»[1]، وقوله صلى الله عليه وسلم: «شَرُّكُمْ مَنْ نَزَلَ وَحْدَهُ، وَضَرَبَ عَبْدَهُ، وَمَنَعَ رِفْدَهُ»[2]، وقوله صلى الله عليه وسلم: «المؤمنُ غرٌّ كريمٌ، والفاجرُ خَبٌّ لئيمٌ»[3]، وقوله صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَؤُلَاءِ الأَرْبَعِ»[4].

فكل هذا صدر منه صلى الله عليه وسلم من غير تكلف ولا تعسف، فنراه سجع بجمل عباراتها قصيرة، وفواصله متنوعة مع سمو معانيه واختلافها، وقد جاء في أنواع عدّة، منها: السجع المتوازن، والسجع المرصّع، والسجع المطرّف، والسجع المتماثل.

وأزيد شيئا آخر يوضح عدم التكلف، وهو أن الكلام المسجوع عند البلغاء ما توفرت فيه أربعة شرائط[5]:

الأول: اختيار مفردات الألفاظ.

---

[1]– مسلم: صحيح مسلم، ج4، ص: 2277.

[2]– الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ): مسند الشاميين، المحقق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الأولى، 1405 – 1984، ج2، ص: 328.

[3]– أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ): سنن أبي داود، المحقق: شعَيب الأرنؤوط – مَحَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ – 2009 م، ج7، ص: 167.

[4]– الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ): سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، 1395 هـ – 1975 م، ج5، ص:509.

[5]– ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر، ج1، ص: 215.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

الثاني: اختيار التركيب.

الثالث: أن يكون اللفظ في الكلام المسجوع تابعاً للمعنى لا أن يكون المعنى تابعاً للفظ.

الرابع: أن تكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذي دلت عليه أختها.

فلنأخذ بيانا نبويا ونحلله وفق هذه الشرائط الأربع، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم:«أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ حَلَقَ وَسَلَقَ وَخَرَقَ»[1].

الأول: اختيار مفردات الألفاظ. حَلَقَ، سَلَقَ، خَرَقَ.كلها ثلاثية وفي الماضي لأنها أبلغ في الزجر، وبنفس الجرس الموسيقي ونفس الحرف الذي فيه من القوة والجهر والشدة والانفجار ما يتناسب وحالة الزجر.

الثاني: اختيار التركيب المناسب فنجد أنه اختار فيه صلى الله عليه وسلم عبارة البراءة مع ضمير المتكلم "أَنَا بَرِيءٌ" وهذا أقوى في الدلالة من مجرد التحريم أو النهي، وذلك لأنه يحمل معنى التحريم، ويحمل معنى النهي، ويضاف لذلك معنى الزجر ويؤكده تصدر ضمير المتكلم "أنا" للتركيب، بل يؤكده البدء بالجملة الاسمية عموما "أَنَا بَرِيءٌ" فهي أوكد في العربية من الجملة الفعلية، وكل هذا لا يؤديه عبارة حرام أو نهى مجردة من معنى الزجر ومؤكده، وقد اكتفى التركيب بلفظ البراءة وفعل الحلق، وعطفت الجمل الباقية على الأولى وحذف الباقي؛ لأن في التركيب ما يدل عليه، وهذا ألطف اختيار في الزجر عن ثلاثة أفعال بكلمات يسيرة لكنها قاصدة للمعنى ومستوفيه له من غير إخلال ولا تكرار، وتضم كل المعاني الأخرى التي يؤديها هذا التركيب زيادة عما ذكرنا، والتي منها البراءة من هذا الفعل (الحلق والسلق والخرق)، والبراءة من فاعل هذه الأمور،

[1]– مسلم: صحيح مسلم، ج1، ص: 100.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

والبراءة مما يستوجب أصحابها من العقوبة، والبراءة من الإلزام بالتبليغ فيما يتعلق بهذه الأفعال بعد هذا التحذير فقد تم التبليغ والبيان بهذا البيان النبوي، وكلها معاني يناسبها هذا التركيب المختار.

الثالث: أن الألفاظ المسجوعة في هذا التركيب تابعة للمعاني التي أُرِيدت في هذا البيان النبوي، فالمعنى المراد هو الزجر عمّا يفعله أهل الجاهلية عند نزول مصيبة الموت، مثل الندب والنياحة ولطم الخد وشق الجيب وخمش الوجه ونشر الشعر والدعاء بالويل والثبور... فكان اختيار هذا الألفاظ الثلاثة موفية بهذا الغرض مؤدية لهذه المعاني المقصودة وجامعة لها؛ بل هي أبرزها وأظهرها عند المصيبة، والباقي تبع لها، ومن هنا نجد أن اللفظ وُظِّف لهذا المعنى، فهو لاحق والمعنى سابق، ولو غُيِّر اللفظ واستُبدِل لبقي المعنى هو ذاته المقصود والمراد.

الرابع: نجد أن كل فقرة من فقرات هذا التركيب دالة على معنى غير المعنى الذي دلت عليه أختها، فـــ:(حلق) تعني حلق الشعر عند المصيبة. (وسلق) تعني رفع الصوت عند المصيبة، وقيل هو أن تصك المرأة وجهها. (وخرق) شق الثياب عند المصيبة، فكل واحدة أدت معنى مستقل عن الأخرى.

3 – 4 – السلامة من العيوب البيانية

لقد أرجع علماء البلاغة جمال اللفظ المفرد وفصاحته إلى أمور عدّة عرضها ابن سنان في كتابه: (سر الفصاحة) أذكر منها[1]:

أن تكون حروف الكلمة متباعدة المخارج، أن لا تكون الكلمة غريبة متوعرة أو وحشية لا يمكن استيعابها وفهمها، ألا تكون الكلمة عامية مبتذلة تنفر منها الأسماع والأذواق، أن تكون الكلمة معتدلة في عدد حروفها. وقد امتلك صلى الله عليه وسلم

[1]– ينظر ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، ص: 64، وما بعدها.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

معجما لغويا كبيرا، ساعده على انتقاء الألفاظ المناسبة لأحاديثه، مع مراعاته الفروق الدقيقة بين معاني الكلمات.

فكلامه صلى الله عليه وسلم مبرأ من العيوب البيانية التي لا يكاد يسلم منها متكلم، مثل الغرابة والكراهة في السمع أو التنافر أو الضعف في التأليف وغيرها من عيوب الكلام، مما ذكر له علماء البلاغة من الأمثلة المختلفة التي لا يسعني المقام لذكرها هنا، ولكن في كلامه صلى الله عليه وسلم لا تجد وحشية ولا سوقية ولا ضعفا ولا ركاكة ولا إسفافا ... فالألفاظ النبوية واضحة، خالصة من كل بشاعة وعيب فلا نجد فيها ما يخل بشروط الفصاحة ولا البلاغة، وكل ما مرّ بنا رأينا فيه السلامة من العيوب ما رأينا، وما سأذكره لاحقا نرى فيه ذلك أيضا.

أما الألفاظ التي يوردها أهل الغريب من الألفاظ الوحشية المستعصية على الفهم فمردّ ذلك لأحد وجهين:

الأول: أن كثيرا من هذه الألفاظ لم تصح نسبتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولكن أهل الغريب تتبعوها بالشرح والبيان ولم يتكلفوا عناء التثبت من صحتها إذا لم يكن ذلك من مرامهم ولا من هدفهم.

الثاني: أن هذه الألفاظ الصعبة التي صحت نسبتها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وتكلم بها فعلا كان مردّها بسبب اختلاف أحوال المخاطبين، فقد كان منهم أعراب موغلون في البداوة؛ وأصحاب منغمسون في رقة الحضارة فخاطب كل طائفة من هؤلاء بما يوافق حاله.

وأكتفي هنا بذكر مثال على ما ورد فيه من ألفاظ صعبة اقتضتها طبيعة المخاطبين لا غير، هذا المثال يتمثل في كتابه صلى الله عليه وسلم إلى وائل بن حُجْر وأهل حضر موت، يقول فيه صلى الله عليه وسلم: «إلى الأقيال (الملوك) العباهلة (العظام) والأرواع

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

(الهيبة والجمال) المشابيب (زاهر اللون) من أهل حضر موت بإقام الصلاة المفروضة وأداء الزكاة المعلومة عند محلها، في التيعة (الأربعون من الغنم) شاة لا مقورة الألياط (المسترخية الجلود أي الهزيلة) ولا ضناك (السمينة) وأنطوا (أعطوا) الثبجة (أي الوسط بين المهازيل والسمان)، وفي السيوب (العطية وهو الركاز المتمثل في : الكنز أو المعدن) الخمس، ومن زنى مم بكر (البكر) فاصقعوه (الضرب) مائة واستوفضوه (النفي والتغريب) عاماً، ومن زنى مم ثيب (الثيب) فضرجوه بالأضاميم (الحجر الصغير) ولا توصيم (لا تراخي أو لا تواني) في الدين ولا غمة في فرائض اللّه، وكل مسكر حرام، ووائل بن حجر يترفل (يترأس) على الأقيال أميراً أمره رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم»[1].

ومع ذلك فقد عدَّ الْحَلِيمِيُّ هذه الصعوبة من الجزالة بلغة هؤلاء القوم، فقال: «وإذا تُتُبِّعَ ما في كتبه ومحاوراته من الألفاظ الجزلة وُجِدَتْ كَثِيرَةً فمنها كتابه الذي كتبه لوائل بن حجر الحضرمي»[2].

[1]– محمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: 942هـ): سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1414 هـ – 1993 م، ج2، ص: 101.

[2]– أبو بكر البيهقي أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، (المتوفى: 458هـ): شعب الإيمان حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، لطبعة: الأولى، 1423 هـ – 2003 م ج3، ص: 35.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

يقول القاضي عياض: «وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول: فقد كان – صلى الله عليه وسلم – من ذلك بالمحل الأفضل، والموضع الذي لا يجهل؛ سلاسة طبع، وبراعة مترع، وإيجاز مقطع، ونصاعة لفظ، وجزالة قول، وصحة معانٍ، وقلة تكلف.

أُوتي جوامع الكلم، وخُص ببدائع الحِكَم، وعلم ألسنة العرب. يخاطب كل أمة منها بلسانها، ويحاورها بلغتها، ويباريها في مترع بلاغتها، حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله. ومَن تأمل حديثه وسبره علم ذلك وتحققه»[1].

3 – 5 – مراعاة مقتضى الحال:

مقتضى الحال هو الأمر الذي يحمل المتكلم على إيراد نوع من الكلام يناسب المقام في صورة معينة دون غيرها، ولذا فالبلاغة هي مراعاة حال المخاطب، فإن الكلام النبوي كان يتناسب مع أحوال المخاطبين به لتحصل على أعلى درجات الإفهام، فهو عندما يخاطب ملكا من ملوك الأرض، يستعمل المناسب من الألفاظ والمعاني ما يقتضيه حال المخاطب، من ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ملك الروم: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ملك الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد! فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الإريسين». فتجد فيه من الفخامة والجزالة

[1]– القاضي عياض، أبو الفضل بن موسى اليحصبي (المتوفى: 544هـ) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمنى (المتوفى: 873هـ)، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: 1409 هـ – 1988 م، ج1، ص: 70.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

ومراعاة الحال ما يقتضيه المقام، حتى كأن كلماته صواعق مترلة تقرع رأس عظيم الروم[1].

ولكنه عليه الصلاة والسلام حين يخاطب النساء والأطفال والضعفة من الناس تجده يستعمل الألفاظ التي فيها من الرقة والحنان؛ بما يقتضيه حالهم، حتى لكأنها تطرب فؤادك بعذوبتها، يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: «إن كان النبي صلى الله عليه وسلم ليخالطنا، حتى لِأَخٍ لِي صَغِيرٍ يقول: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ»[2].

3 – 6 – السبق إلى بعض التراكيب:

رغم أن العرب ملكت زمام البيان وأبدعت فيه، وجاءت من الأقوال والتراكيب ما شغل أهل الفن والاختصاص، إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان صاحب المحل الأسمى من البيان والفصاحة؛ لذا سبق أصحاب البلاغة إلى تعبيرات لم يُسبَق إليها، ولم تتهيأ لغيره، ويمكننا أن نذكر بعض ما تفرد بالسبق إليه صلى الله عليه وسلم، من ذلك قوله: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا»[3]، «وَيْحَكَ يَا أَنْجَشَةُ رُوَيْدَكَ بالقَوَارِيرِ»[4]، «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»[5]، «لاَ يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ»[6]، «حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ»[1]، «هُدْنَةٌ عَلَى دَخَنٍ»[2]، «اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ»[3]، «زر غِبّاً تزدد حبّاً»[4].

[1]– ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ): السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، صحّحه، وعلق عليه الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1417 هـ، ج2، ص: 600.

[2]– البخاري: صحيح البخاري، ج8، ص: 30.

[3]– المرجع نفسه ج2، ص: 12.

[4]– المرجع نفسه ج8، ص: 38.

[5]– المرجع نفسه ج7، ص: 126.

[6]– المرجع نفسه ج8، ص: 31.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

ومنها كذلك: «يا خيلَ اللهِ، اركَبِيْ»[5]، «الْمَرْءُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ»[6]، «أَمَا إِنَّهُ لَا يَنْتَطِحُ فِيهَا عَنْزَانِ»[7]، «فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى»[8]. وغيرها كثير.

وهناك بعض التراكيب قِيلَت قبله صلى الله عليه وسلم، لكن كانت بمعاني ضيقة وليس لها من القيمة حتى تصير متداولة، فأصبغ عليها صلى الله عليه وسلم من الألفاظ ما غير معناها، وأفضى عليها من الدلالات ما لم يكن عند قائليها، وبذلك ملك زمام أمرها، وأصبحت من الأمثال المستعملة، كقوله صلى الله عليه وسلم: «النَّاسُ كَأَسْنَانِ الْمُشْطِ»[9]، قال القاضي: «وقد تضمن هذا الخبر بألفاظه اللطيفة الجامعة، ومعانية الشريفة النافعة، حكما متقبلة في العقل، ثابتة في الفضل، راجحة في ميزان العدل»[10].

---

[1]– ابن حبان : صحيح ابن حبان، ج3، ص: 150.

[2]– المرجع نفسه ج13، ص: 299.

[3]– المرجع نفسه، ص: 510.

[4]– المرجع نفسه ج2، ص: 387.

[5]– أبو داود: سنن أبي داود، ج4، ص:208.

[6]– القضاعي، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري (المتوفى: 454هـ): مسند الشهاب، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، 1407 – 1986، ج1، ص: 141.

[7]– المرجع نفسه ج2، ص: 46.

[8]– المرجع نفسه ج2، ص: 184.

[9]– المرجع نفسه ج1، ص: 145.

[10]– أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريرى النهرواني (المتوفى: 390هـ): الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، المحقق: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى 1426 هـ – 2005 م، ص: 218.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

وانظر ما جاء في هذا التشبيه عند الشعراء، منها قول الشاعر[1]:

سواء كأسنان الحمار فلا ترى ... لذي شيبة منهم على ناشئ فضلا

وقال آخر[2]:

شبابهم وشيبهم سواء ... فهم في اللوم أسنان الحمار

يقول الجاحظ في البيان والتبيين : «وإذا حصلت تشبيه الشاعر وحقيقته، وتشبيه النبي صلّى الله عليه وسلّم وحقيقته، عرفت فضل ما بين الكلامين»[3].

جاء في الجليس الصالح: «فإن بعض علماء أهل اللغة ذكر أن السواسية هم المتساوون في الشبه، وأن هذا القول إنما يستعمل في الذم، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الناس سواء كأسنان المشط، وإنما يتفاضلون بالعافية"، تأديب لهم وحض لهم على تفكرهم في أنفسهم، وأنهم يتساوون في الأصل، ويتفقون في الخلق والجبل، ويتفاوتون في منازل الفضل، ليرجعوا إلى المعرفة بأنفسهم، ويتنزهوا عن المنافسة التي تفسد ذات بينهم، ويجتنبوا البغي والتفاخر، والاستطالة بالتكاثر، وليشكر المفضل منهم ربه عز وجل، إذ أبانه بالفضل على من سواه، وخصه بنعمته دون كثير ممن عداه، ويؤدي حق مولاه فيما أولاه وأبلاه، فإن الناس على ما جاء في الأثر معافى ومبتلى»[4].

وفي الأمثال النبوية غنية في هذا العنصر بالذات، فقد جرت على لسانه –عليه الصلاة والسلام– العديد من الحكم والأمثال التي لم يسبق لها وسارت في الناس، ولكن

[1]– الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ): البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: 1423 هـ، ج2، ص: 15.

[2]– المرجع نفسه، ج2، ص: 15.

[3]– المرجع نفسه، ج2، ص: 15.

[4]– أبو الفرج المعافى: الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، ص: 218.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

مقام البحث لا يتسع لذكر نماذج أكثر مما ذكرت. يقول الرافعي : «فلا جَرَم كان – صلى الله عليه وسلم – على حد الكفاية في قدرته على الوضع، والشقيق من الألفاظ، وانتزاع المذاهب البيانية، حتى اقتضب ألفاظاً كثيرة لم تسمع من العرب قبله، و لم توجد في متقدم كلامها، وهي تعد من حسنات البيان، لم يتفق لأحد مثلها في حسن بلاغتها، وقوة دلالتها، وغرابة القريحة اللغوية في تأليفها وتنضيدها، وكلها قد صار مثلاً، وأصبح ميراثاً خالداً في البيان العربي، كقوله: ماتَ حتف أنفه وقد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: ما سمعتُ كلمة غريبة من العرب – يريد التركيب البياني – إلا وسمعتها من رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وسمعته يقول: "مات حتفَ أنفه" وما سمعتها من عربي قبله . ومثل ذلك قوله في الحرب: "الآن حميَ الوَطِيس"، وقوله: "بُعثْتُ في نَفَسِ الساعة"»[1].

4 – المطلب الثالث – القيمة الجمالية للبيان النبوي من خلال بعض المباحث البلاغية.

الجمالية في البيان النبوي يدركها العقل الحصيف، ويقدِّرها الذوق السليم، من غير تكلف ولا كثير عناء، فهي لون من ألوان الإبداع الجمالي في خطابه صلى الله عليه وسلم، شكلت فيه حالة من التناغم بين اللفظ والمعنى، وبين الشكل والمضمون؛ يقول الجاحظ واصفًا بيانه صلى الله عليه وسلم: «هو الذي قَلَّ عددُ حروفه، وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة، ونزه عن التكلف، وكان كما قال اللهُ تبارك وتعالى: قل يا محمد!: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾.. فكيف وقد عاب التشديق، وجانب أهل التقعير،

[1]– الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: 1356هـ): إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثامنة – 1425 هـ – 2005 م، ص: 214.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي. فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، و لم يتكلم إلا بكلام قد حُفَّ بالعصمة، وشُيِّد بالتأييد، ويسر بالتوفيق»[1].

ويمكن أن أبيّن هذه القيمة الجمالية للبيان النبوي من خلال المباحث البيانية التالية:

4 – 1 – الصورة وجماليتها البيانية:

الصورة ذلك التركيب اللغوي الذي تمتزج فيه الألفاظ بالمعاني في سياق بياني خاص وموح بمعان ودلالات، تحمل التأثير والتوصيل لتخلق انفعالا لدى المتلقي ومشاركة معه، لأن وظيفة الصورة لا تنحصر في توضيح المعنى أو تحققه؛ فالمعنى يمكن أن يتحقق بدونها أو بغيرها، وإنما تتجاوز ذلك إلى خلق معان خاصة غنية بالإيحاءات، التي لا يمكن أن يفي بها التعبير الحقيقي أو المباشر، لتحدث أثرا واستجابة في نفوس متلقيها.

وقد سلك صلى الله عليه وسلم طرقا فنية متعددة، يتوخى منها في المقام الأول توجيه الإنسان المسلم توجيها عقديا وتربويا وأخلاقيا، ومن بين هذه الطرق: التعبير بالصورة؛ فيتجلى هذا البيان في قدرته صلى الله عليه وسلم على التعبير والتصوير؛ من كناية وتشبيه، واستعارة ومجاز، وغيرها من الأساليب، تعتمد على إبراز المعاني في هيئة مجسمة وصور حية متماسكة ومتحركة في آن واحد معا، مما يدل على موهبة فذة، تشعر القارئ والسامع على السواء كأنه أمام لوحات فنية ممتعة . وقد كان لعلماء البلاغة قديما الدور الكبير في إبراز الشكل الفني للحديث الشريف، ونخص بالذكر الشريف الرضي في كتابه "المجازات النبوية"؛ حيث كشف عن جوانب كثيرة من معالم التصوير الفني في الحديث النبوي.

[1]– الجاحظ: البيان والتبيين، ج2، ص: 13.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

كما يعد عبد القاهر الجرجاني من أبرز النقاد والبلغاء العرب الذين اعتنوا بالصورة الفنية وأثرها في النص الأدبي، وبين النواحي الفنية والجمالية فيها، ووقف عند ماهيتها ومكوناتها، وعلاقتها بنفسية وذوق المبدع والمتلقي. فيقول في كتابه أسرار البلاغة: «واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونُقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا»[1].

وقد اعتمد العرب على وسائل كثيرة في التصوير منها ما كان واضحاً عندهم تمام الوضوح كالتشبيه، والاستعارة، والكناية، وبعضها لم يكن واضحاً في نتاجهم الأدبي كالقصة، والتجسيم، والتشخيص، والموازنة، والإشارة، والرسم، وهذه الوسائل نراها بوضوح وجلاء في البيان النبوي، فالنبي – صلى الله عليه وسلم – قد أوتى جوامع الكلم، وأدبه ربه فأحسن تأديبه، ولهذا لم يغفل البيان النبوي في تصويره الدقيق هذه الوسائل، مع الوضوح رغم احتمالات تعدد المعنى، فاكتسب بذلك الحديث الشريف قيمة فنية وجمالية.

4 – 1 – أ – التشبيه وقيمته الجمالية:

[1]– الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: 471هـ): أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ص: 115.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

فمن الصور البيانية المتعلقة بالتشبيه في البيان النبوي قوله، صلى الله عليه وسلم: «النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا»[1].

فالمعنى الحقيقي والمباشر أو المعتاد للحديث يدل على التفاوت الحاصل بين الناس، فقد جرت في حياة الناس وأعراف الشعوب مقاييس يتم من خلالها تقسيم الناس إلى طبقات، وهذه المقاييس منها ما يعود إلى الحسب، ومنها ما يعود إلى النسب، أو الجاه أو المال، والمجتمع العربي قبل الإسلام لم يكن بعيدا عن تلك التصنيفات، فكانوا يصنفون الناس إلى سادة وعبيد، فلما جاء الإسلام وضع القواعد والأسس التي يتم من خلالها التفاضل بين الناس، والتي منها التقوى.

فقوله "الناس معادن" يحمل صورة فنية؛ وهي التشبيه الذي تقوم وظيفته البيانية على تصوير المعنى في قالب محسوس، عن طريق ربط الصور الحسية، بأخرى أشد منها تمكنا في الصفات الحسية، وهذا ما يجعله قريبا من مجال الإدراك الإنساني، ويجعله أكثر قدرة على التأثير والتأثر.

فالطرف الأول للصورة هو "الناس" وهو المشبه، والطرف الثاني هو "المعادن" من ذهب وفضة وغيرهما، وهو المشبه به، وهما أبرز أركان التشبيه وقد ذكرا، ووجه الشبه لم يذكر، وهنا تكمن القيمة الجمالية لهذه الصورة البيانية، فإذا أمعنا النظر وجدنا أن هذا الربط بين الناس والمعادن يتم من أوجه شبه مختلفة أو صفات متعددة، ومنها:

– اللون: فهو أحد الأوصاف الخارجية للمعادن كما أنه أحد الأوصاف الخارجية للناس، وهو ما عبر عنه القرآن ﴿وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾[2]، فكما يتم التمايز بين

[1] – مسلم: صحيح مسلم، ج4، ص:2031.

[2] – الروم: 22

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

المعادن باللون؛ كذلك يتم التمايز بين الناس باللون، وهذا ما فعلته الأمم قبل الإسلام، وهذا نوع من التصوير الحسي لتقريب المعنى، أي كما يقارن الإنسان بين لون وطبيعة المعادن فيجد أن هناك فوارق بينها، كذلك المتلقي يقارن بينها وبين المشبه أي أنواع الناس فيجد أن هناك فوارق أيضا.

فهذا وجه من وجوه الشبه في هذا التشبيه، أعطانا صورة تقريبية في العلاقة بينهما لنصل لسبب التفاضل بين الناس كما هو التفاضل بين المعادن، ولكنه في الحقيقة ليس هو المقصود في توجيهات النبي الكريم عليه الصلاة والسلام.

– القيمة: هي المعنى الدقيق الخفيف والمقصود الذي يجمع بين المشبه والمشبه به، أي القيمة التي يحملها المعدن فتجعله مفضلا على غيره، فكذلك الناس يتفاضلون بقيمتهم، من حيث الدين والأخلاق والعلم والإيمان، وليس بالجنس أو اللون، أو الحسب، أو النسب، أو الغنى، أو الفقر، وعليه فالمقياس الحقيقي للتفاضل بين المعادن نابع من قيمة المعدن ذاته؛ كذلك المقياس بين الناس نابع من ذات الإنسان وقيمته، حسب تربيتهم وأخلاقهم، فكلما صلحت التربية زادت قيمة معدنهم.

فالناس كالمعادن بعضهم نادر ونفيس كالذهب والفضة، وبعضهم كالصفيح، فإذا كان الإنسان معدنه كالذهب، فإن ذلك يعني أن الروح التي تملكت ذلك الجسد طاهرة ونقية ومتسامية كالذهب، وإذا كان معدنه كالصفيح، فإن ذلك يعني أن الروح التي تملكت ذلك الجسد قد هبطت وتدنت حتى علاها الصدأ.

يقول الشريف الرضي: «إنه عليه الصلاة والسلام شبه الناس بالمعادن التي تكون في قرارات الأرض، فلا يحكم على ظواهرها حتى يستخرج دفائنها، ويستنبط كوامنها، فيكون منها اللجين (الفضة) والنضار (الذهب) ويكون منها النفط والقار (القطران)، فكذلك الناس لا يجب أن يحكم على مجاليهم، ولا يقطع على بواديهم حتى يخبروا

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

ويعرفوا، ويثاروا ويجثوا فيخرج البحث جواهرهم، ويمحص الامتحان مخابرهم، فيتبين حينئذ كرم النحائز (جمع نحيزة وهي الطبيعة) وطيب الغرائز، وتكشف منهم الطرائق، ولئيم الخلائق»[1].

– المقارنة بين صورتين للتفاضل: كما أننا نكتشف من خلال هذا التشبيه المقارنة بين صورتين للتفاضل، صورة جاءت بها الجاهلية، وهو التفاضل السطحي الذي ليس له معنى ولا يمكن أن يكون مقياسا لأنه لا يمتلكه الإنسان فيأتي به ليكون فاضلا، كالنسب والحسب والجنس، فهي أمور خارج عن قدرة الإنسان، وصورة جاء بها الإسلام تغوص في الأعماق ولها معنى وقيمة وتمثل جوهر الأشياء، ويمكن للإنسان أن يمتلكها من تلقاء نفسه، كالإيمان والتقوى والأخلاق، فيكون بها فاضلا، وبهذا يتحقق معنى التنافس في اكتساب تلك الصفات.

إن هذه الإيحاءات الجميلة التي يوحي بها البيان النبوي، والانفعالات المختلفة والمتفاوتة التي يوشي بها، تنم عن بيان رائع وإحساس كبير بالجمال، وقدرة فائقة على تشكيل الصور الفنية المؤثرة في السامعين. فهو صلى الله عليه وسلم خبير بالمشاعر والأحاسيس التي تثيرها كل لفظة وكل معنى وكل تصوير.

4 – 1 – ب – الاستعارة وقيمتها الجمالية:

لما خرج أشراف قريش لمواجهة النبي صلى الله عليه وسلم في بدر، من أمثال عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو البختري بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف وغيرهم من أشراف قريش،

[1] – الشريف الرضي (406هـ– 1015م): المجازات النبوية، بتحقيق وشرح طه محمد الزيني، منشورات مكتبة بصيرتي، ص: 135.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

قال عليه الصلاة والسلام لأصحابه : «هَذِهِ مَكّةُ، قَدْ أَلْقَتْ إِلَيْكُمْ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا»[1]. الأفلاذ جمع فلذ ككتف، والفلذ جمع فلذة، وهي قطعة من الكبد مقطوعة طولا، وخص الكبد لأنها من أطايب الجزور.

فعندما ننظر في المعنى الحقيقي والمباشر للكلام من خلال الحديث نراه يتمحور في أن مكة دفعت إلى قتال المسلمين نخبة من أبنائها، وساداتها، وفرسانها، وممن لهم الرأي ويعتمد عليهم في والحرب، وهذا التعبير عادي ومتداول لا يثير أي انفعال أو لا يحدث أي تأثير في المتلقي أو السامع.

أما المعنى الذي ينطوي عليه التعبير المجازي في الحديث؛ والمتمثل في الاستعارة فإنه يحمل معنى جديدا في اللفظ، بسبب ما أحدثته الصورة الفنية من إيحاءات ودلالات عاطفية وإنسانية لم يكشف عنها المعنى الحقيقي للفظ في استعماله المباشر.

فالحديث يحمل استعارة مكنية وهي صورة فنية توحي بصورة الأم التي تلم بها النكبات، وتعصف بها الأهوال فتضطر مكرهة لدفع أبنائها إلى مواقف قد تفقدهم فيها، فتفقد نفسها إثر ذلك، فمكة تتبوأ في هذا التعبير مكانة الأم الحنون، والضلوع الحانية، والأفلاذ يمثلون الأبناء البررة الذين قذفت بهم الأم لحمايتها والذود عنها، وهم مستعدون لبذل الأرواح والتضحية بالأنفس من أجلها.

يقول الشريف الرضي: «فكأنه صلى الله عليه وسلم، أقام مكة مقام الحشا التي تجمع هذه الأعضاء الشريفة كالقلب والنياط، والكبد والفؤاد، وجعل رجال قريش كشعب الكبد التي تحنو عليها الضلوع، وتجتمع عليها الجوانح، وقاية لها، ورفرفة

[1]– محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: 207هـ): مغازي الواقدي، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1989/1409، ج1، ص: 53.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

عليها»[1]. الحشا: مفرد الأحشاء وهو ما دون الحجاب مما في البطن كله. النياط: عرق متصل بالقلب من الوتين إذا قطع مات صاحبه، والنياط أيضا القلب.

فهذه الصورة الجميلة، وهذه الانفعالات المختلفة التي توحي بها العبارة المجازية، هي التي دفعت بالشريف الرضي إلى القول بأنها: «وهذه من أنصع العبارات وأوقع الاستعارات»[2]، ولكنها لا تستمد نصاعتها وجمالها من كونها تشبيها حذف أحد طرفيه، وإنما اكتسبتها بما أثارته من قيم جمالية ومشاعر نفسية ووجدانية، يحمل من خلالها البيان النبوي روح الإشفاق والرحمة على بلده المحبوب مكة التي يخوض أهلها غمار معارك خاسرة تحصد خيرة أفلاذها الذين كان يفترض أن يكونوا جنودا في صفوف أهل الحق يدافعون عن حياضه، لأنهم أولى الناس به من غيرهم، وقد نزل الحق بينهم وبعث الرسول منهم، وهم أهل السيادة والشرف بين القبائل العربية، ولكن هذه الأمنية التي يحملها الخطاب النبوي لم يعيها أهل مكة، إلا بعد فوات الأوان.

4 – 2 – الإعجاز البياني وجماليته:

الإعجاز أنواع؛ من ذلك الإعجاز العلمي، الغيبي، التاريخي...ومنه البياني الذي يخص بحثنا، ولفظ الإعجاز مصدر، وفعله رباعي هو أعجز، تقول: أعجز يعجز إعجازاً واسم الفاعل مُعجِز، وكلام أهل اللغة عن الإعجاز يدور معناه حول الضعف، وعدم القدرة على النهوض بالأمر، وكذلك القعود عما يجب فعله، يعني ترك الأمر تسويفا.

[1] – المرجع السابق، ص: 14.

[2] – المرجع السابق، ص: 13.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

قال ابن منظور: «العجز: نقيض الحزم، والعجز: الضعف، والمعجزة بفتح الجيم وكسرها: مفعلة من العجز: عدم القدرة... وقيل أراد بالعجز: ترك ما يجب فعله بالتسويف»[1].

وقد جاء على لسان ابن آدم قوله: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ﴾[2].

أي ضعفت في عقلي وتفكيري أن أفعل هذا الفعل، ولم أهتد إليه لضعفي وعجزي، وظاهر أن العجز هنا في هذه الآية هو ضعف في التفكير، وعدم التوصل بفكره إلى حفر حفرة يواري فيها جثمان أخيه المقتول، فإنه بعد أن رأى فعل الغراب واراه فقد كان عاجزاً في فكره قادراً بعمله، فالعجز يطلق على الأمور المادية والمعنوية.

وقد عرفه الجرجاني بقوله: «أنْ يؤدي المعنى بطريق، هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق»[3].

وقد عرَّفه مصطفى صادق الرافعي من خلال أوجهه، فقال: «وإنما الإعجاز شيئان:

1- ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة، ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته.

2- ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه، فكأنَّ العالم كله في العجز إنسان واحد، ليس له غير مدنه المحدودة بالغة ما بلغت»[4].

ويمكن أن أحدد مظاهر هذا الإعجاز البياني من خلال البيان النبوي في ما يلي:

---

[1]- ابن منظور: لسان العرب، ج5، ص: 369.

[2]- المائدة: 31

[3]- الجرجاني: التعريفات، ص: 31.

[4]- الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 98.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

4 – 2 – أ – الإعجاز اللفظي وقيمته الجمالية:

لقد اهتمت الدراسات البلاغية العربية القديمة بجمالية اللفظ اهتماما بالغا؛ إذ اعتبرت جمال اللفظ وإعجازه، وجمال الأدب (شعره ونثره) في بلاغة اللفظ وعذوبته، ومن نماذج هذا الإعجاز في اللفظ النبوي قوله صلى الله عليه وسلم في حديث طويل هذا طرف منه: «إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْهُدَى، وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ»[1].

فالإعجاز وقيمته الجمالية في هذا البيان النبوي تكمن في لفظة (الغيث) فهي مختارة ومنتقاة من بين ألفاظ كثيرة قريبة منها، كلفظ: (الطل والندى والرذاذ والودق والوابل والصيب) إلى غير ذلك من أسماء المطر، بحيث يؤدي المعنى المراد على أدق وجه وأوفاه بما لا تؤديه الألفاظ الأخرى.

فلكل معنى نوع من اللفظ يخصه هو به أولى وأنسب، وكان إلى الفهم أقرب، وكان السمع له أدعى والنفس إليه أميل. فلفظة (الغيث) تفيد المطر الذي يأتي عند الحاجة إليه، ويأتي دائما ملائما نافعا غير مؤذ ولو كثر. كما أن الغيث يحيي الأرض الميتة فتظهر فيها الأشجار والأزهار، فكذلك علوم الدين تحيي القلب الميت، والرسول، صلى الله عليه وسلم، إنما استعمل هذه اللفظة ليدل على اضطرار الخلق إليه، وشدة الاحتياج إليه، فالله تعالى قد أرسل رسوله رحمة للعالمين ليدل كذلك على الخيرية العالية التي يحملها الإسلام المشبه بالغيث.

[1]– مسلم: صحيح مسلم، ج4، ص: 1787.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

يقول القرطبي: «ضرب النبي صلى الله عليه وسلم لما جاء به من الدين مثلا بالغيث العام الذي يأتي في حال حاجتهم إليه، وكذا كان الناس قبل بعثته، صلى الله عليه وسلم، فكما أن الغيث يحيي البلد الميت، فكذا علوم الدين تحيي القلب الميت»[1].

4 – 2 – ب – الإعجاز المعنوي وقيمته الجمالية:

ويتجلى هذا الإعجاز المعنوي في البيان النبوي في عمق المعاني التي نطق بها صلى الله عليه وسلم وغناها بالدلالات البلاغية، وورودها في صور متعددة، كالتشبيه والاستعارة والنهي والأمر، وبعبارات قليلة تتسم بالإيجاز الشديد والكثافة الدلالية والسمو في المعاني، ومن نماذج هذا الإعجاز قوله صلى الله عليه وسلم : «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»[2].

هذا الحديث يوحي بصورة بيانية فيها قيمة جمالية أطلق عليها علماء البيان التشبيه البليغ، حيث يشبه صلى الله عليه وسلم مقام المؤمن في الدنيا بحال رجل مقيم في بلاد غربة. فكما لا نجد في الغريب ركونا إلى الأرض التي حلّ فيها ولا أنسا بأهلها، ولكنه مستوحش في مقامه مهما طالت إقامته لا يشغل نفسه بدنيا الناس، بل يكتفي باليسير منها. فكذلك حال المؤمن مع الدنيا، فلا ينبغي له أن يتخذها وطنا أو مسكنا فيطمئن فيها، وإنما ينبغي أن يكون فيها كالغريب مهما طالت إقامته في البلد الذي اغترب فيه، فإنه ليس من أهله وسيعود يوما ما إلى بلده، فهو دائما على جناح سفر يهيئ جهازه

[1]– ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي: فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة – بيروت، 1379 ج1، ص:177.

[2]– البخاري: صحيح البخاري، ج8، ص:89.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

للرحيل، ومن كان في الدنيا كذلك، فلا هم له إلا التزود بما ينفعه عند عوده إلى وطنه، فلا ينافس أهل البلد الذي هو غريب بينهم، في عزهم، ولا يزعج من الذل عندهم؛ يقول العلوي : «يعنى في قطع العلائق، وخفة الحال، فإن الغريب لا علقة له في بلاد الغربة، وابن السبيل لا لبث له إلا مقدار العبور وقطع المسافة، فهذا المعنى قد أظهره التشبيه نهاية الظهور وأوضح حاله كما تراه»[1].

فالبيان النبوي في هذا الحديث احتوى معاني عظيمة، وحكما بالغة، وليس مجرد وصف أو تشبيه، فبما فيه من تصوير يشير من جانب آخر إلى قصر عمر الإنسان، كما يشير إلى قصر الأمل في الدنيا التي أغرت الناس وألهتهم عن آخرتهم، فاتخذوها وطنا ومحلا لإقامتهم، ويرشد إلى خفة الحال وعدم الارتباط والتعلّق الشديد بالدنيا؛ فهو دعوة إلى الزهد في الدنيا، وعدم الاغترار بمتعها...وغيرها من المعاني الأخرى.

5 – الخاتمـــة:

وفي نهاية هذا البحث يمكنني أن أشير لجملة من النتائج المستخلصة، والتي منها:

– البيان النبوي مرتهن بالرسالة الإبلاغية للرسول صلى الله عليه وسلم، ومرتكز على ما أكرم الله به نبيه من حسن البيان وفصاحة اللسان، المتمثل في جوامع الكلم، ليكون للناس هاديا، ومبلغا لرسالة الله، فيؤدي بذلك دوره كما أنيط به.

– تَمَيُّز الخطاب النبوي بجملة من الخصائص الفنية التي جعلته يرتقي لأسمى أنواع الخطاب البشري.

[1]– يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللّه (المتوفى: 745هـــ) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز المكتبة العنصرية – بيروت الطبعة: الأولى، 1423 هـــ، ج1، ص:144.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

– البيان النبوي يحتوي على قيم جمالية رفيعة، ولدتها المعاني السامية التي حملها الخطاب الشريف، والاختيار الأمثل الذي تحلى به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

– البيان النبوي ليس مجرد إبداع فني محض؛ بل هو مع كونه إبداعا، فهو قبل ذلك رسالة خالدة موجهة للناس جميعا وسيلتها الأولى هي البيان والتبيين لهؤلاء الناس.

– البيان النبوي مادة ثرية وغنية للبحث اللغوي عموما، والبحث البلاغي على سبيل الخصوص.

– البيان النبوي وإن لم يرد به التحدي في الإعجاز البياني إلا أن واقعه معجز في ذاته، وقد فاق كلام البلغاء والفصحاء في قوة بيانه.

6 – قائمة المصادر والمراجع

1– ابن الأثير ضياء الدين، نصر الله بن محمد (المتوفى: 637هـ): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي، المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ـــ القاهرة.

2– ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ): النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، 1399هـ – 1979م.

3– أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، سنة: 1399هـ – 1979م.

4– أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1429 هـ – 2008 م.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

5- الأحمد نكري القاضي عبد النبي بن عبد الرسول (المتوفى: ق 12هـ): جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت، الطبعة: الأولى، 1421هـ – 2000م.

6- بدر الدين العينى، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى (المتوفى: 855هـ): عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

7- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي: صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، سنة، 1422هـ:.

8- البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، (المتوفى: 458هـ): شعب الإيمان حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، لطبعة: الأولى، 1423 هـ – 2003 م .

9- الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ): سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، 1395 هـ – 1975 .

10- الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ): البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: 1423 هـ.

11- الجرجاني علي بن محمد بن علي الزين الشريف (المتوفى: 816هـ) التعريفات، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ –1983م.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

12- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: 471هـ): أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.

13- الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (المتوفى: 393هـ): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م.

14- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ): السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، صحّحه، وعلق عليه الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1417 هـ .

15- ابن حبان محمد بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ): صحيح ابن حبان مخرجا، المحقق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، 1414 – 1993.

16- ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي: فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة - بيروت، 1379 .

17- الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (المتوفى: 466هـ): سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، الطبعة: الطبعة الأولى 1402هـ-1982م.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

18- أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ): سنن أبي داود، المحقق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009م.

19- الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: 1356هـ): إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العرب- بيروت، الطبعة الثامنة - 1425 هـ - 2005 م.

20- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ): مسند الشاميين، المحقق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الأولى، 1405 — 1984.

21 - الشريف الرضي (406 هـ- 1015 م): المجازات النبوية، بتحقيق وشرح طه محمد الزيني، منشورات مكتبة بصيرتي.

22- عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: 1425هـ): البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1996م.

23- العلويّ، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللّه (المتوفى: 745هـ) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز المكتبة العنصرية - بيروت الطبعة: الأولى، 1423هـ، .

24- أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريرى النهرواني (المتوفى: 390هـ): الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، المحقق: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، الطبعة: الأولى 1426 هـ - 2005 م .

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

25- القاضي عياض، أبو الفضل بن موسى اليحصبي (المتوفى: 544هـ) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمنى (المتوفى: 873هـ)، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: 1409 هـ - 1988 م.

26- القضاعي، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري (المتوفى: 454هـ): مسند الشهاب، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، 1407 - 1986 .

27- الكفومي أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني: الكليات، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - 1419هـ - 1998م.

28- ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ): سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

29- مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: 179هـ): الموطأ برواية أبي مصعب الزهري، المحقق: بشار عواد معروف - محمود خليل، مؤسسة الرسالة، سنة: 1412 هـ.

30- محمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: 942هـ): سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1993 م.

31- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ): صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 239–279 تاريخ النشر: 17–11–2020

32- ابن منظور محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: 711هـــ): لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـــ.

33- الواقدي محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، (المتوفى: 207هـــ): مغازي الواقدي، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1989/1409.